

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق

الكولونيالي

The planning linguistic and multilinguism in Algeria after the colonial context

د/ محمد بوغار*

تاريخ النشر: 2026/08/16	تاريخ القبول: 2026/08/15	تاريخ الإرسال: 2025/09/05
-------------------------	--------------------------	---------------------------

الملخص:

يهدف هذا البحث إلى الكشف عن الوضع اللغوي فيما بعد السياق الكولونيالي في الجزائر ضمن إطار التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية وإلى استقراء الخلفيات والعوامل التي ساهمت في انتشار التعدد اللغوي وجعله وسيلة تفكك اللغة والمجتمع ذلك ما يؤدي إلى توجيه القضية أيديولوجيا أحيانا وللوصول إلى هذه الغايات اتخذنا من المنهج الاستقرائي للبحث عن هذا الخلفيات والأسباب وقد تم التوصل إلى جملة من النتائج منها أن التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية كفيلا لصنع الوعي الجماعي والحضاري وأنه يمكن جعل قضايا التعدد اللغوي وسيلة بناء لا وسيلة تفكك ومن خلال معالجتنا لهذا المقال نرى أنه يجب على الدولة بكل مؤسساتها في إطار التخطيط والسياسة اللغوية أن تفعل خططا واستراتيجيات للتصدي لهذه القضايا ذات المساس بالأمن القومي في شقه اللغوي والانتمائي ذلك لأن اللغة آلة الوعي والحضارة.

الكلمات المفتاحية: التخطيط اللغوي. السياسة اللغوية. التعدد اللغوي. الثنائية

اللغوية. السياق الكولونيالي.

Abstract:

This research aims to reveal the linguistic situation after the colonial context in Algeria under the language planning and language policy It's came also to extrapolate the backgrounds and factors that contributed in the spread of the multilinguism and make it a means to break up language and

boughar.mohamed@cu-tipaza.dz *

society that's lead to directed some time the case ideological and to reach to this finalities, We took from the inductive method to search for this backgrounds and reasons in final we have arrived to a set of resultats among them: Linguistic planning and linguistic policy are guaranteed to create the collective and civilized awareness it's also can make from the multilingualism a constructive means not a destroy means through our treating to this article we see that's will be an obligation for the state and all it's institutions in the context of the planning and policy linguistics to make plan and strategies for confront this cases which touch the national security in the linguistic and affiliation aspect because the language is an instrument awareness and civilization

Key words: *The planning linguistic. policy linguistic. multilingualism. Bilingualism. the colonial context*

*** **

مقدمة:

يشتهر أن اللغة وسيلة التواصل والتفكير والتبليغ وغيرها من العبارات التي تخفي جانبا مخيفا لهذه الظاهرة المعقدة ولكنها في الوقت نفسه قد تكون أداة للسيطرة والهيمنة والحرب وهذا ما يدعو الدول بكل مؤسساتها المركزية وغير المركزية إلى وضع خطط واستراتيجيات وسياسات لغوية وغير لغوية لضمان استعمال هذه الملكة بالشكل الصحيح والمطلوب من أجل الوصول إلى مرحلة صناعة الوعي والتطور والحضارة، والجزائر -كغيرها من الدول- منذ قدوم الفاتحين شهدت نشاطا وصراعا لغويا متعددًا بين اللغة العربية واللهجات البربرية، أدى هذا النشاط في كثير من الأحيان إلى بروز ظاهرة الثنائية اللغوية والتعدد اللغوي واللهجي حيث نجد أنهم تكلموا بلغة رسمية ولغات أجنبية، لكن ومع غرس الروح الإسلامية وتعاليمها على هذه الأرض تفردت اللغة العربية بالغلبة دائما من خلال انبراء ثلة من العلماء وطلبة العلم إلى تعليم القرآن الكريم وعلومه وعلوم العربية ونشرها في مختلف قطاعات اللغو والتواصل الاجتماعي، والجزائر كغيرها من باقي الدول كان لها نصيب وفير وعمل غير يسير في العمل على تجسيد سياستها اللغوية ورؤيتها الخاصة لمشكلاتها اللغوية والمجتمعية والمؤسسية

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

وكما أنها عملت على إرداف هذه السياسة بمنهجية تطبيقية بما وسعها من الظروف والآليات إبان الفترة الاستعمارية أو الفترة التي تلي الاستعمار مباشرة، ومنذ حلول الاستعمار في هذه البلاد فإنه حاول مرارا تكرس كل الظروف والآليات والمناهج لمحو اللغة العربية وفصل الشعب عنها لأنه كان على علم يقين أنه متى حصل له هذا الفصل فقد قتل روح الأمة الجزائرية العربية المسلمة وقتل وعي شعبيها بها وبأرضهم ومقدساتهم وامتحت هويتهم عن الوجود، لكن وُعاة وعلماء الجزائر فطنوا لهذه المكاييد فعملوا على توعية الشعب الجزائري من خلال إصدار الفتاوي بضرورة تعلم العربية لغة القرآن والإسلام والهوية وما لبثوا يشيدون قلاع العلم والمعرفة من خلال الزوايا ونشرها في كل ربوع الوطن والتشديد على تعلم القرآن والحديث وعلوم العربية من نحو وصرف وبلاغة ولغة وشعر وأكثر ما يتجلى هذا المنهج في التخطيط والتنفيذ عند شيوخ الزوايا وعند جمعية العلماء المسلمين في إطار ما يعرف بالمقاومة اللغوية الكولونيالية وتخليص الشعب ووعيه من برائن مخلفات الاستعمار وما هذا إلا انجلاء لوعي هؤلاء الدعاة والعلماء بالعلاقة الضرورية بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي، وفي الجزائر المستقلة أتمت الدولة بأركانها ومؤسساتها عمل أسلافهم في التخطيط والتنفيذ لتنقية وعي الدولة شعبا وحكومة من لغة الاستعمار والحد من التعامل بها والتمكين لأسباب تعليم اللغة العربية وتعميم استعمالها، غير أن النظرة العامة للتخطيط والسياسة اللغوية التي انتهجتها الجزائر لم تأت أكلها كما كان ينبغي لها ويبدو أنها عجزت عن احتواء هذا التعدد اللغوي وهذا التنوع اللهجي الذي ألقى بظلاله على كافة القطاعات خاصة التعليمية هذا ما أدى إلى بروز صراع لغوي في الواقع اللغوي الجزائري في الدوائر الرسمية وغير الرسمية وأصبح من الخطورة بمكان الإبقاء على هذا الوضع إذا رمنا التخطيط لبناء هوية جزائرية عربية واعية تنأى عن التعدد والصراع اللغوي.

إشكالية المقال:

أما الإشكالية التي حاول المقال مناقشتها والإجابة عنها فجاءت مصاغة كالآتي:
هل يمكن اعتبار التخطيط اللغوي فيما بعد السياق الكولونيالي في الجزائر آلية فعالة لضمان بناء واقع لغوي جزائري؟
وللإجابة عن هذه الإشكالية العامة نطرح بعض التساؤلات التي تساعد على ذلك وجاءت مصاغة كالآتي:

- ما هو التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية وأي علاقة تربطهما؟
- كيف خطت الجزائر بعد الاستقلال لتعميم استعمال العربية؟
- ما هو التعدد اللغوي؟ وما مظاهره وانعكاساته؟

أهداف المقال:

يهدف هذا المقال إلى إبراز العلاقة الجوهرية بين التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية وصلتهما من جهة أخرى بالوعي وبناء الحضارة، وإلى تبيان خلفيات تفشي ظاهرة التعدد اللغوي وكيفية تمظهرها في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي، واقتراح بعض الحلول والتوصيات لمعالجة كل هذا.

أهمية المقال:

يندرج هذا المقال ضمن البحوث التي تناولت قضية التعدد اللغوي والتخطيط اللغوي وما يتصل بهما من القضايا وذلك لما للموضوع من أهمية قصوى في الواقع اللغوي الجزائري المعيش رسميا كان أو غير رسمي خاصة في جزائر ما بعد الاستقلال في إطار التعدد اللغوي فيما بعد السياق الكولونيالي لأن الأمن والسيادة اللغوية عنصران في غاية الأهمية إذا ما أردنا الكلام عن التخطيط لهوية وطنية لغوية جزائرية ولأن الواقع اللغوي الجزائري صار يعيش في صراع مريم مع هاجس اللغات الأجنبية خاصة الفرنسية وحتى اللهجات المحلية كالبربريات.

خطة الإجابة:

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

وللإجابة عن الإشكالية والتساؤلات السالفة الذكر ارتأينا تقسيم الدراسة إلى مبحثين: يتناول المبحث الأول تعريف التخطيط اللغوي ثم السياسة اللغوية ثم علاقة التخطيط اللغوي بالسياسة اللغوية وربط ذلك بالواقع اللغوي في الجزائر ثم نعرض في المبحث الثاني إلى مفهوم التعدد اللغوي ثم أسبابه ثم مظاهره ثم انعكاساته في الواقع اللغوي الجزائري ثم نتكلم عن الصراع اللغوي ومظاهره والعوامل التي هيأت له في الواقع اللغوي الجزائري ثم نختم مقالنا بجملة من الاستنتاجات والتوصيات.

1. التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية

1.1. تعريف التخطيط اللغوي

يطلق مصطلح التخطيط ويراد به العمل وفق مخطط أو خطة عمل معينة وبمنهج وقواعد وخلفيات معينة أيضا من أجل تحقيق أهداف وغايات مسطرة تبعا لاستراتيجية مدروسة ترافقها معطيات خاصة في مجال من المجالات، وبعبارة أخرى يمكن أن يقال: إن التخطيط هو مجموعة التدابير التي تتخذ من أجل تنفيذ هدف معين وهذا يعني أن مفهوم الخطة يحدده عنصران: أولهما هدف أو غاية نريد الوصول إليها وثانيهما وضع تدابير محددة ووسائل مرسومة من أجل بلوغ هذا الهدف فالتخطيط محاولة علمية تجريبية للارتفاع بالواقع الذي يعيش فيه الفرد لتحقيق أهداف معينة في فترة زمنية محددة¹، وقد ظهر مصطلح التخطيط لأول مرة سنة 1910 في مقال للنمساوي كريستيان شويندر.

أما التخطيط اللغوي فيمكن أن يعرف بأنه وضع خطة قابلة للتطبيق على أرض الواقع تروم الوصول إلى أهداف معينة وإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات المشخصة والتي تعوق السيرورة الحسنة للأعراف اللغوية في مجتمع ما وفي لغة ما وهذا ضمن التوافق المبدئي والاستراتيجي مع السياسة اللغوية التي تقرها الدولة، وقد عرف التخطيط اللغوي بأنه وجه من أوجه علم اللغة التطبيقي²، أو هو ذلك الفرع من فروع علوم

اللغويات الاجتماعية التي تعنى بدراسة علاقة اللغة بالمجتمع ويعنى التخطيط اللغوي بدراسة المشكلات التي تواجه اللغة سواء أكانت مشكلات لغوية بحتة كتوليد المفردات وتحديثها وبناء المصطلحات وتوحيدها أم مشكلات غير لغوية ذات مساس باللغة واستعمالها³، ودراسة علاقة اللغة بالمجتمع ومدى تأثير كل منهما بالآخر ويأتي لعلاج مشكلات اللغة الأم وهيمنة اللغة الأجنبية والازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية.

نستنتج من هذه التعاريف أن التخطيط اللغوي هو آلية عمل ومنهجية استراتيجية فعالة في واقع اللغات والمجتمعات وليس مجرد كلام مفرغ المحتوى لأنه إذا قلنا التخطيط للغة فنحن نقول بالضرورة التخطيط لبناء الوعي الفردي والجماعي وبالتالي بناء تماسك اجتماعي قوي يصعب تفكيكه أو حله، وبعبارة أخرى التخطيط اللغوي بأدق المعاني محاولة جادة لبناء الحضارة والثقافة وصناعة وعي فردي وجماعي متماسك بحيث يعي الكل بمكانته في هذا الوجود وعليه يكون الانطلاق والعمل والبناء من أجل الوصول إلى مجتمع ودولة ذات أسس حضارية وثقافية متينة ولا يكون هذا إلا باللغة والوعي بها لأن الوعي باللغة صعودا وهبوطا وعي بالرقى أو التخلف.

ينسب إلى أينارهاوجين 1959 استخدام مصطلح التخطيط اللغوي لأول مرة للإشارة إلى نشاط إعداد القواعد الإرشادية والقواميس لتوجيه الكتاب والناطقين في مجتمع خطاب غير متجانس⁴، ونفهم أن التخطيط اللغوي عند أينارهاوجين يقصد به منهجية لغوية تطبيقية لتحضير وإنتاج المعاجم والقواعد اللغوية بغية إرشاد وتوجيه الأفراد غير المتجانسين لغويا أي الذين لا يتكلمون اللغة نفسها وذلك من أجل التواصل والتفاهم في مختلف المجالات.

ويرتبط التخطيط اللغوي في أي دولة من الدول ارتباطا وثيقا بالسياسة اللغوية فهي التي تعطيه الشرعية القانونية لإيجاد الأرضية العملية المناسبة للتخطيط من جهة وللتنفيذ من جهة أخرى ولا يمكن والحال هذه أن نتكلم عن التخطيط دون السياسة اللغوية.

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

2.1. تعريف السياسة اللغوية:

يعرف مصطلح السياسة اللغوية حسب اللساني الفرنسي جان لويس كالفّي: بأنها مجمل القرارات الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغات والحياة الاجتماعية وبالتحديد وبين اللغة والحياة في الوطن⁵، ويقصد كالفّي هنا أنها مجمل القرارات التي يمكن أن تتخذ بشأن تنظيم وتسيير اللغات وتكييف العلاقات بين الوطن والحياة الاجتماعية للأفراد والمجتمعات⁶، ولربط كالفّي الوعي في اتخاذ القرارات التي تحدد السياسة اللغوية باللغات والحياة غاية في الأهمية لأنه كما أسلفنا الذكر الوعي بالتخطيط وبسياسته وعي بالضرورة بشبكة العلاقات الحياتية والعلاقات الوجودية المحيطة بالفرد والمجتمع والوعي بهذه الشبكة العلائقية إما وعي بناء وازدهار أو وعي تخلف واندثار وشتان بين الوعيين والأمثلة كثيرة في هذا تغني عن الذكر.

ويمكن اعتبار السياسة اللغوية بأنها مجموعة نشاطات يمارسها الساسة تجاه اللغة وصياغتها في شكل قرارات دستورية وتشريعية وهي فرع من علم السياسة العام⁷، ومن هنا ندرك أن الوصول إلى مرحلة التخطيط الفعالة التي تؤتي أكلها على الفرد والمجتمع حاكمين ومحكومين في نصيب كبير منها من صناعة الساسة وإفرازاتهم الدستورية والتشريعية لأن السياسة اللغوية تعتبر "المرحلة النظرية التي يتم من خلالها الربط بين الواقع الاجتماعي واللغة لاتخاذ اتجاه لغوي محدد"⁸، ومن خلال ما سبق يتبين لنا أن السياسة اللغوية على علاقة وثيقة بالتخطيط اللغوي ويرتبطان بشكل نظري وتطبيقي أحدهما بالآخر أخذا وعطاء أو تشريعا وتنفيذا

3.1. علاقة التخطيط اللغوي بالسياسة اللغوية:

يقوم التخطيط اللغوي على تطبيق السياسة اللغوية المقررة في سياق معين ويحاول الاهتمام بمعالجة المشكلات اللغوية ومختلف الظواهر اللسانية التي تميز مجتمعا ما وذلك عن طريق ترجمة قرارات السياسة اللغوية ميدانيا وعمليا على أرض الواقع من

خلال التخطيط الجيد رغبة في الوصول إلى أهداف وغايات سياسية ولغوية⁹، ولهذا لا يمكن بأي حال فصل السياسة اللغوية عن التخطيط اللغوي إذا حاولنا تشخيص مشكلات لغوية وغير لغوية في مجتمع ما أو في لغة ما ثم تجسيد الحلول المناسبة لحل هذه المشكلات وبناء لغة تحمل الفكر والثقافة والحضارة الحقة وتنقل الناس من عوالم التخلف إلى عوالم التحضر والرقى، وتعد العلاقة بين السياسة والتخطيط اللغويين علاقة تبعية، وتفضي هذه العلاقة إلى أن التخطيط اللغوي تابع للسياسة اللغوية أي أن يكون رسم السياسة اللغوية وتنفيذها من خلال تطبيقاتها في ضوء ما ينص عليه الدستور وتقتضيه السياسة اللغوية في البلاد، فالسياسة اللغوية لها أسبقية وسببية بالنسبة إلى التخطيط اللغوي فلا يمكن للمخططين التخطيط دون وجه قانون¹⁰، وعليه نستنتج أنه ما من سبيل للوصول إلى صناعة حضارة ووعي بالأمة ومكانتها بين الأمم إلا بصناعة منهجية عمل استراتيجية وفعالة يكون فيها التكامل التام والفعال بين السياسة اللغوية والتخطيط اللغوي.

والدولة الجزائرية كغيرها من باقي الدول كان لها نصيب كبير في العمل على تجسيد سياستها اللغوية ورؤيتها الخاصة لحل مشكلاتها اللغوية والمجتمعية والمؤسسية، وكما أنها عملت إرداف هذه السياسة بمنهجية تطبيقية بما وسعها من الظروف والآليات إبان الفترة الاستعمارية أو الفترة التي تلي الاستعمار مباشرة، وفي الجزائر المستقلة عملت الدولة بأركانها ومؤسساتها على التخطيط لتنقية وعي الدولة شعبا وحكومة من لغة الاستعمار وتتجسد منهجية عمل الدولة في هذا ضمن مرحلتين أساسيتين:

- المرحلة الأولى: وهي مرحلة ما بين 1962 و1991 أين كان التعريب تدريجيا بعدما ورثت الجزائر منظومة تربوية فرنسية فقررت تغيير هذا الوضع فكان أول دخول مدرسي في أكتوبر 1962 للجزائر المستقلة حيث اتخذت وزارة التربية قرارا يقضي بإدخال اللغة العربية في جميع المدارس الابتدائية بنسبة سبع ساعات في اليوم¹¹ وكان التعريب يخص موادا دون أخرى.

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

- المرحلة الثانية: وهي مرحلة ما بين 1991 الى 2003 حيث عرفت الجزائر في هذه المرحلة عدة إصلاحات مست مختلف أطوار التعليم وتم تطبيق التعريب بشكل واسع حيث أصبح التعليم في جميع مراحل المدرسة الأساسية وفي جميع التخصصات يقدم باللغة العربية كما عرفت تعديلات على البرامج من تحسين وتغيير في المنظومة التربوية وفي مسار التعليم¹².

2. التعدد اللغوي في الواقع اللغوي الجزائري

1.2. تعريف التعدد اللغوي

يمكن أن يعرف مصطلح التعدد اللغوي بأنه مظهر من مظاهر اللغة حيث يوجد فيه نسقان لغويان أو أكثر يطبعهما الاختلاف من حيث البناء والتركيب والتعبير ويتصف التعدد غالبا بالتعايش ضمن المجتمع الواحد، وتعرف هذه الظاهرة اللغوية أيضا بأنها تواجد نظامين لغويين مختلفين في مجتمع ما وتجمع بينهما أو اصر القرابة أو علاقة نسب والتزام كما يمكن لهذا التعدد اللغوي أن يكون موجودا في أغلب المجتمعات والطوائف اللسانية التي تتعدد أنساقها الثقافية¹³، وعرفه جون ديبوا في كتابه قاموس اللسانيات بقوله: التعدد اللغوي عندما تجتمع أكثر من لغة في مجتمع واحد أو عند فرد واحد ليستخدما في مختلف أنواع التواصل¹⁴، ونستنتج من هذه التعاريف أن التعدد اللغوي من الخواص اللازمة للأعراف اللسانية واللغوية والتجمعات البشرية فمتى وجد تجمع بشري وجد تعدد للغو والتعبير عن الأغراض وحاجيات التواصل، ويتمثل هذا التعدد في وجود نسقين أو نظامين نحويين ولغويين أو أكثر في لغة ما مع تجمع بشري ما ولا تكاد تخلو دولة منه لأنه من اللوازم الجمعية الفرقية للبشر، ويرى إبراهيم الدسوقي أن للتعدد اللغوي مستويين لغويين يعيشان جنبا إلى جنب لكل مستوى وجود مستقل في النوع والبناء، الأول يسمى النوع الراقى أو اللغة الفصحى أما المستوى الثاني فيسمى النوع الدارج¹⁵، ويفهم من قوله أن مصطلح التعدد اللغوي مركب من ثنائيتين في التعبير

والبناء وكل منهما مستقل ببنيته عن الآخر واحدهما التعبير الراقى وتمثله عندنا العربية الفصحى بكل لهجاتها الفصحى وثانيهما المستوى الدارجى وهو يفتقر إلى بعض خواص المستوى الأول فى البناء والتركيب وأكثر ما يظهر هذا الافتقار على مستوى الإعراب والصوت ويتمثل عندنا هذا المستوى كل اللهجات الدواجر الهجينة عن العربية الفصحى، ويستعمل المستوى الأول بصفة خاصة فى التعاملات الرسمية للدولة والمجتمع وفى التدوين العلمى والثقافى لهما أى إنه مرتبط بالمكتوب ويستعمل المستوى الثانى فى التواصل اليومى العادى.

2.2. مظاهر التعدد اللغوى فى الواقع اللغوى الجزائرى

إذا أردنا أن نربط قضية التعدد اللغوى بالواقع اللغوى الجزائرى فإننا نتلمس لأول وهلة بأنها تتميز بتنوع وتعدد لغوى وجد بعضه منذ القديم على هذه الأرض وبعضه أحدث فى العصر الحديث حيث يستعمل المتكلم الجزائرى أو يستمع يومياً إلى جانب اللغة العربية الفصحى لغات ولهجات أخرى على غرار التنوع اللهجى الجزائرى بالإضافة إلى اللغة الفرنسية والإنجليزية والأمازيغية بكل لهجاتها وبعض الكلمات من الإسبانية ولغات آخر وهذا ينبأنا بأن الواقع اللغوى الجزائرى مركب من شبكة لغوية مختلفة كثيراً يمكن أن نسمي هذه الوضع بالازدواج اللغوى والتعددية والثنائية اللغوية، وهنا نميز بين نوعين من التعدد اللغوى فى الواقع الجزائرى موزع كالتالى:

1.2.2. الازدواجية اللغوية:

الازدواجية اللغوية مظهر للتعدد اللغوى تصيب اللغة واللسان ثم تظهر على المجتمع والفرد حيث ينشأ عنها استعمال لهجات فرعية عن لغة رئيسية وأول ظهور لهذا المصطلح كان على لسان الباحث الأمريكى شارل فيرغسون عام 1959 فهو يرى أن الازدواجية اللغوية وضع مستقر نسبياً توجد فيه بالإضافة إلى اللهجات الرئيسية للغة تختلف عنها وهى مقننة بشكل متقن وهذه اللغة بمثابة نوع راق يستخدم وسيلة للتعبير عن أدب محترم سواء كان هذا الأدب ينتهى إلى جماعة فى عصر سابق أم إلى جماعة

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

حضارية أخرى ويتم تعلم هذه اللغة الراقية عن طريق التربية الرسمية ولكن لا يستخدمها أي قطاع من الجماعة في أحاديثه الاعتيادية¹⁶، أو هي تواجد نظامين أو نوعين لغويين مختلفين في مجتمع ما تجمع بينهما أو اصرقراطية أو علاقة نسب¹⁷، ويفهم من هذا التعريف أن ازدواجية اللغوية مركبة من نظامين لغويين في مجتمع ما الأول نظام تمثله لغة رسمية وراقية لها قواعد ونحو محكم تستعمل في التدوين الرسمي للمجتمع والثاني تمثله لهجة متفرعة عن الأولى ومصابة ببعض الخلل عادة في مستوياتها وتستعمل في التعبير عن الأغراض اليومية، ونلاحظ أن الواقع اللغوي الجزائري مركب من هذه الازدواجية حيث نجد فيه استعمال اللغة العربية الفصحى في التعاملات الرسمية كالـتعليم والتدوين والمراسلات والمناشير ونجد فيه أيضا اللهجات المتفرعة عن العربية الفصحى وغير المتفرعة عنها كالأمازيغية بكل لهجاتها ويرجع صالح بلعيد عوامل ظهور الازدواجية اللغوية إلى العامل الديني وعامل الهجرة والتداخل اللغوي وعامل الغلبة والعامل العلمي¹⁸.

2.2.2. الثنائية اللغوية:

يقصد بالثنائية اللغوية الاستعمال الشفوي والكتابي للـغتين رسميتين أو أكثر تنتهي كل لغة منهما إلى نظام لغوي مباين تماما للنظام الآخر وربما مباين له حتى في الأطر الاجتماعية في الغالب كما هو الحال في الواقع اللغوي الجزائري حيث نجد استعمال العربية/الفرنسية العربية/الأمازيغية الفرنسية/الأمازيغية ومعلوم أن نظام العربية مختلف تماما عن نظام الفرنسية وعن نظام الأمازيغية وحتى الأطر والأعراف الاجتماعية مختلفة تبعا للنظام اللغوي الذي يبني ويحوي هذه الأعراف، وقد تعرف الثنائية اللغوية بأنها وضعية لغوية يتناوب فيها متكلمون من مجموعة لغوية ما على نظامين مختلفين¹⁹، ثم إن هذه الثنائية غير المؤطرة لا هي في خدمة العربية ولا الأمازيغية بل هي ظرف لاحتضان التشتت اللغوي والسلوكي وهي مطية لحالة اضطراب فكري واع وغير واع

والجزائري حاليا تحضر للدخول في ثنائية جديدة عربية/إنجليزية وهذا ما يزيد الوضع اللغوي والفكري تأزيميا وانفلاتا وهو وضع يسمح بإيقاع صراع عكسي لغوي/سلوكي و اجتماعي/فردى على كافة المستويات.

3.2. أسباب التعدد اللغوي في الجزائر:

للقوع اللغوي الجزائري منذ القدم عدة أسباب أظهرت في طيات أعرافه الاجتماعية اللسانية منها خاصة تعددا لغويا والملاحظ لهذا الأمر يدرك أن هذا التعدد يرجع في أصله إلى الكثير من السياقات الخارجة أصالة عن نسق اللغة المتعدد وفيما يلي نحاول إجمال القول في ذكر الأسباب التي أدت إلى ظهور التعدد اللغوي في أوساط المجتمع الجزائري خاصة:

1.3.2. الأسباب السياسية:

قد توالى على المجتمع الجزائري منذ القدم إلى غاية 1962 فترات الاحتلال والوقوع تحت براثن استعمارات متنوعة الألسن كل استعمار يأتي إلى هذه الأرض يأتي بأعرافه اللغوية وعاداته اللسانية محاولين في كل مرة الإعداد لنشر لغاتهم حتى يسهل عليهم استحكام حلقة السيطرة التامة على شعب هذه الأرض وكانت أبرز محطة هتكت وهجنت أعراف لغة شعبنا فترة الاستعمار الفرنسي طيلة قرن ونصف من 1830 إلى 1962 وقد عمل الاستعمار الفرنسي بكل علمية لفرض لغته في الجزائر وتهميش اللغة العربية وتدميرها من أساسها من خلال سياسة الفرنسة الشاملة وفرض الفرنسية في كتابة المنشورات الرسمية والتشريعات القانونية والأعراف السياسية وخلال هذه الفترة أيضا سن الاستعمار قوانين الهجرة إلى الجزائر للاستيطان والتعمير لمختلف الأجناس وأبرز هذه القوانين قانون كريميو سنة 1834 الذي يبيح لليهود استيطان الجزائر بمختلف مكونات هوياتهم ومنها الهوية اللغوية ومن هذا المنطلق كان الاستعمار يدرك جيدا أنه حالما يبيد اللغة العربية فإنه يمحو ذاكرة شعب بكل مكوناتها ويخضع له في الأخير.

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

2.3.2. الأسباب الجغرافية:

إن السببين السالفي الذكر السياسي والاقتصادي هما من أبرز الأسباب التي تحدد أي الاقاليم والجغرافيا التي يكون فيها التعدد أكثر من غيره حيث إننا نجد التعدد اللغوي والازدواجية أكثر انتشارا على الساحل الجزائري منها في المناطق الداخلية للبلد وهي أكثر حضورا في المدن منها في القرى والضواحي كما أن ممارستها تلقى الإقبال الواسع من السكان والمتعلمين ومن الفئات الميسورة من المستخدمين بالمؤسسات الخاصة المندمجين في الاقتصاد الحديث من العمال أكثر مما تلقاه من الأميين والطبقات المحرومة من العاملين في قطاعات الفلاحة²⁰، وانتشار التعدد على الساحل أكثر منه في غيره لهو من إفرازات التاريخ أولا والسياسة والاقتصاد ثانيا إذ كان الساحل مرارا هو تمركز القوى الاستعمارية ومحل بسط نفوذه الاقتصادية والسياسية، إذ لا نجد التعدد في الصحاري كثيرا لما ذكرنا.

3.3.2. الأسباب العلمية:

ويقصد بالأسباب العلمية لتفشي ظاهرة التعدد اللغوي إلى الواقع اللغوي الجزائري تلك الدواعي أو الدوافع التي اختارتها الحكومة الجزائرية من خلال وزارات التربية والتعليم العالي أو فرضتها الساحة العلمية العالمية لتبني لغة ما لتيسير الوصول إلى القيمة العلمية أو صناعتها أو استيرادها وتظهر هذه الأسباب في اختيار اللغة الفرنسية واللغة الإنجليزية كلغتي علم وصناعة وإدراج تعليم بعض اللغات في المدارس والجامعات والمعاهد التقنية وهذا الأمر كاف ليظهر التعدد اللغوي وتبريء الأمر لنشره على السنة الطلبة والمعلمين في الأوساط العلمية الرسمية وحتى غير الرسمية لأن التداول اللساني لا يبقى حبيس المكان الذي نأخذه منه بل يصاحبنا في كل مكان نحل فيه وبعبارة أخرى تداول اللغات الأجنبية لا يبقى حبيس المدرسة أو الجامعة بل يصحبنا إلى المنزل والمتجر والزقاق والمسجد والملاعب وعليه فإنه يحل عند كل تجمع عمراني حتى ينتشر كانتشار

اللهيب فيحدث ما نراه في الواقع اللغوي الجزائري، وهو الأمر الذي نراه في الفرنسية التي تبقى المهيمنة على القطاعات الحيوية في المجتمع الجزائري فهي لغة الصناعة والإدارة ولغة المؤسسة الاقتصادية كما أن فشل تعريب الجامعة الجزائرية واقتصارها على معاهد العلوم الانسانية بمقابل بقاء اللغة الفرنسية لغة التدريس في كثير من المعاهد وسيطرتها في المجالات الإدارية والتنظيمية والتعليمية لخير دليل على وجود الازدواجية اللغوية عربية/فرنسية في الجزائر التي رسخها التعليم وعززتها السياسة ونشرها في وسائل الإعلام على نطاق واسع بين مختلف الشرائح الاجتماعية²¹، وإقرار الفرنسية بهذا الشكل وعدم تنظيم استعمالها مؤد بالضرورة إلى فوضى لغوية تردفها فوضى سلوكية لا محال والعمران الجزائري صرخ بهذه الهجنة اللغوية كيف لا وقد ترسخ هذا بصورة دائمة في الحقل اللساني الجزائري فالشارع مزدوج اللغة وإشارات المرور والكتابات على المباني العامة وعناوين المحلات باللغتين العربية والفرنسية بارز في كل مكان وعلى جميع مستويات الحياة اليومية فالعديد من الوثائق الرسمية ووصفات الأدوية والوسمات المصاحبة لمنتجات الاستهلاك العادية تطبع باللغتين وبعض الوثائق مثل الكشوف البنكية وبيانات الصيانة على الأجهزة المنزلية وسمات الملابس تكتب أحيانا باللغتين وأحيانا بالفرنسية فقط خاصة حيث يتعلق بالمواد المستوردة وكذلك بالإعلانات التجارية في الإذاعة والتلفزة والصحف وعلى اللافتات تحرر غالبا باللغتين²²، فلو عدنا مثلا إلى التعليم في المدارس الجزائرية وجدنا الكثير من المواد العلمية تستعمل مصطلحات أجنبية مثل: الرياضيات والفيزياء والعلوم بالإضافة إلى المعاهد العلمية والتقنية في الجامعات الجزائرية²³، كما أننا نجد أن كثيرا منهم لا لغاية إلا أنه يستخدم اللغات الأجنبية ظنا بتفوقها وتحضر دولها وتقدمها لذلك فإنهم يشعرون بالاعتزاز عند استخدام اللغات الأجنبية لأنها لغة الغرب القوي المتحضر والمتفوق²⁴، كما نجد أيضا أن واقع التعدد اللغوي في الجزائر يتخلله استعمال اللغة الإنجليزية والتركية والإسبانية من غير تنظيم أو إقرار دستوري يذكر أو ينص على ذلك وهذا الأمر أدى منذ عقود خلت

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

إلى طفو مظهرين من مظاهر التعدد اللغوي في العمران الجزائري وهو مظهر الازدواجية اللغوية والثنائية اللغوية.

4.2. انعكاسات مظاهر التعدد اللغوي في الواقع اللغوي الجزائري

قد خلفت لنا ظاهرة التعدد اللغوي من خلال الثنائية والازدواجية انعكاسات سلبية جدا على النظام اللغوي العربي في الجزائر خاصة، فأصاب التعدد الصوت اللغوي الجزائري بالإبدال ومن أمثلته تسمع قال وآل وكال بدل قال وقاز بدل غاز تقريبا في كل الجزائر وتسمع الزداج والسجاج بدل الزجاج وطمر بدل تمر وسجيع بدل شجيع، وفي المعجم اللغوي الجزائري نلاحظ مزيجا من العربية الفصحى واللهجات العامية واللغات الأجنبية خاصة الفرنسية فمنها قولهم في عين الدفلى حكمتني جفجافة ورحت للسبيطار فالجفجافة صوت يصدره الثوب والقلم والورق خفيف وهو على سبيل العارية لمن أصابته الحى فأصدر الأنين واضطربت أضلاعه بالحركة وقولهم السبيطار من الفرنسية وهو من الدخيل ويقصد به المشفى، وقولهم أيضا كوزينة وصالة وكونترول وليكور ولتيدي وفيسبوك وترونسبور أو طرونسبور وأرشيف وبالو وتيلفزيون وراديو وميكرو وغيره كثر جدا، ونلاحظ أن هذا التعدد أصاب اللغة الجزائرية في التصريف والتركيب أيضا فمنه جمعهم على وزن التكسير تلفون تليفونات وميكرو ميكروات وبالو بالوات طوموبيل طوموبيلات ستيلو ستيلوات وغيره كثير، وفي التركيب قولهم ماشي سور أي لست متأكدا وقولهم ماشي قع بيان أي ليست بخير، والمطرّد في المستوى النحوي في اللغة الجزائري إخضاع التراكيب للرتبة دون الحركة كما هو في الأصل ومنه قولهم موسى ضرب جمال ولا يستطيعون بأي حال القول ضرب موسى جمال ليعربوا الفاعل من المفعول وهو كثير جدا في كلامهم، ولا يخفى على ذي نظر في الأمر أن هذا التعدد مؤد إلى خلخلت النظام اللغوي كله والنظام السلوكي بالضرورة وكل ذلك نتيجة الصراع اللغوي في الجزائر بين العربية والفرنسية والأمازيغية واللهجات المحلية وبعض اللغات

قليلة الانتشار كالإنجليزية والإسبانية والتركية، وهو ما يجعل اللغة العربية تواجه صراعا لغويا في الأقطار العربية مع عدة لغات أجنبية كما يحصل لها في المغرب العربي مع اللغة الفرنسية وفي دول الخليج مع اللغة الإنجليزية إما الحالة الثانية فيمكن تعميمها وبدون استثناء على جميع الدول العربية التي يحدث فيه صراع لغوي بين العامية والفصحى²⁵.

خاتمة

- التخطيط اللغوي الفعال هو الخطة المنهجية والاستراتيجية القابلة للتطبيق على أرض الواقع والتي تروم الوصول إلى أهداف معينة وإيجاد الحلول المناسبة للمشكلات المشخصة للعلاقة بين اللغة ومستعملها والتي تعوق السيرورة الحسنة للأعراف اللغوية في مجتمع ما وفي لغة ما وهذا ضمن التوافق المبدئي والاستراتيجي مع السياسة اللغوية التي تقرها الدولة.
- إن التخطيط اللغوي المبني على أسس علمية رصينة والذي تعضده سياسة لغوية قوية تدعمه بكل الآليات بغية نجاحه في جعل اللغة القومية لغة علم وحضارة ولغة تقنية وتدرّس لهو التخطيط المنشود اليوم في الواقع اللغوي الجزائري وهذا النوع من التخطيط هو ما نرى أكله في بعض الدول المصنعة للتقنية والقيمة العلمية والتكنولوجية كاللغة اليابانية والصينية والفيتنامية والماليزية واللغة التركية وغيرها ولم يمنعهم شيء من جعل لغتهم القومية لغة علم وصناعة في الساحة المحلية والعالمية ولكنهم أردفوا كما قلنا السياسة اللغوية الرصينة بالتخطيط والتنفيذ الجيد.
- التخطيط اللغوي في الجزائر منذ عقود خلت عمل على إيجاد الحلول المناسبة والفعالة للقضاء على لغة المستعمر من خلال المواثيق الدستورية منذ الاستقلال التي نصت على تعريب كل القطاعات.

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

- التخطيط اللغوي والسياسة اللغوية في الواقع اللغوي الجزائري عمل منذ البداية على احتواء التعدد اللغوي بقطبيه الثنائية اللغوية والازدواجية اللغوية وتنظيم هذه الظاهرة، إلا أن الأمر بدا متعسرا على الدولة وتفلت في فترة ما من خلال الإجماع السكوتي الجمهوري على استعمال الفرنسية وبعض اللغات الأجنبية هذا من جهة وعدم تنظيم التعدد اللغوي فيما خص العربية أو الأمازيغية من جهة أخرى هو ما أدى إلى فوضى وهجنة لغوية في الجزائر نعايش ثمارها الحنظلية منذ عقود.
- يجب التنويه إلى أن الجماعات الفرانكوفونية عملت غداة الاستقلال من خلال عملائها في مختلف الإدارات المركزية وغير المركزية على غرس أنياب الفرنسية بقية الاستعمار القديم وتمهيدا لاستعمار حديث بدأ بفتح سوق للفرنسية لغة التعامل الرسمي وغير الرسمي.
- التعدد اللغوي مؤد إلى تعدد في الرؤى والأفكار وبالتالي صراع وحي محلي تتلاشى على آثاره الوحدة الجمعية أمام الوحدات الأخرى وهو ما يجعله محط توجيه أيديولوجي وهو ما نراه في الواقع اللغوي الجزائري، ولصناعة هوية جزائري حقيقة فلا يمكن أن توجد خارج اللغة العربية، فاللغة ليست أصواتا فقط لتأدية الأغراض والتبليغ إنها وسيلة حرب وهيمنة ووسيلة الحياة وصناعة الحضارة والوعي.

الهوامش:

1. عبد اللطيف الفارابي وآخرون معجم علوم التربية مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك، ط1، 1994، سلسلة علوم التربية، 9-10، دار الخطابي للطباعة والنشر، ص267-268.

2. المهدي سلطاني، مظاهر السياسة اللغوية في ظل التعدد اللغوي ورهاناته في الجزائر، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، المجلد 4، العدد 8 مارس 2021، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، الجزائر، ص240.
3. معافي خيرة، اللغة العربية وسؤال التخطيط اللغوي في الجزائر، مذكرة ماستر، 2015-2016، ص3.
4. بن بناحي عبد الناصر، قضايا اللغة في السياقين الكولونيالي وما بعد الكولونيالي، دار الفكر العربي، 2020، ص22.
5. جان لويس كالفي، علم الاجتماع اللغوي، ترمحمد يحياتن، دار القصبه للنشر، 2006، ص111.
6. المهدي سلطاني، مظاهر السياسة اللغوية في ظل التعددية اللغوية ورهاناته في الجزائر، ص239.
7. هدى الصيقي، علاقة السياسة اللغوية بالتخطيط اللغوي دراسة حالات من الوطن العربي، مذكرة ما جستير، جامعة قطر، 1435-1436 هـ 2014-2015م، ص25.
8. المهدي سلطاني، مظاهر السياسة اللغوية في ظل تحديات التعدد اللغوي ورهاناته في الجزائر، ص240.
9. المرجع نفسه، ص240.
10. هدى الصيقي، علاقة السياسة اللغوية بالتخطيط اللغوي، ص34.
11. ربعة بكاكرة، التخطيط اللغوي ودوره في بناء المضامين التعليمية المرحلة الابتدائية أنموذجا مذكرة ماستر، جامعة حمة لخضر، الوادي، 2014-2015م، ص57.
12. بحمان حنان، أثر السياسة اللغوية في تعليم اللغة العربية السنة الخامسة ابتدائي أنموذجا، مذكرة ماستر، جامعة أحمد دراية أدرار، 2017-2018، ص19.
13. مجموعة من المؤلفين، اللغة والتواصل التربوي والثقافي في مقارنة نفسية وتربوية، الدار البيضاء، منشورات مجلة علوم التربية، 2008، ص56.
14. باديس لهويل ونور الهدى حسني، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، مجلة الممارسات اللغوية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، العدد 30، 2014، ص103.
15. المهدي سلطاني، مظاهر السياسة اللغوية في ظل تحديات التعدد اللغوي ورهاناته في الجزائر، ص239.
16. ربعة عبد الكريم، التعدد اللغوي وانعكاساته في الواقع اللغوي الجزائري، مجلة علوم اللغة العربية وآدابها، جامعة الوادي، ص186.
17. عبد الحميد بوترة، واقع الصحافة الجزائرية المكتوبة في ظل التعددية اللغوية الخبر اليومي والشروق اليومي والجديد اليومي نماذجا، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، جامعة الوادي، العدد 08، سبتمبر 2014، ص202.
18. صالح بلعيد، المازيغية في خطر، جامعة مولود معمري، ص28-29.

التخطيط اللغوي والتعدد اللغوي في الجزائر فيما بعد السياق الكولونيالي

19. عبد العزيز بلفقير، التعدد اللغوي واللبس الدلالي وأثره على التعليم، صحيفة المثقف، العدد 2311، الخميس 27 / 12 / 2012.
20. نصيرة لعموري، العوامل المؤثرة في تحكم الطالب الجامعي في اللغة الفرنسية دراسة ميدانية بجامعة سعد دحلب، البليدة، مذكرة ماجستير، البليدة، أفريل 2017، ص 67.
21. مرية تونسي، اللغة العربية في ظل التعدد اللغوي بالجزائر، المجلة الجزائرية للأبحاث والدراسات، المجلد 03، العدد 10، شهر مارس السنة 2020، جامعة مستغانم، الجزائر، ص 106.
22. نصيرة لعموري، العوامل المؤثرة في تحكم الطالب الجامعي في اللغة الفرنسية، ص 67.
23. باديس لهويمل ونور الهدى حسن، مظاهر التعدد اللغوي في الجزائر وانعكاساته على تعليمية اللغة العربية، ص 113.
24. المرجع نفسه، ص 112.
25. إبراهيم بن علي الديبان، الصراع اللغوي، بحث مقدم لمؤتمر علم اللغة الثالث، قسم علم اللغة والدراسات السامية والشرقية، كلية دار العلوم، جامعة القاهرة، 16-17/1/1427هـ، ص 05.